الفصل الأول

مفهوم التبني

كانت هناك في الجاهلية عادة منتشرة وهي عادة التبنّي ، ومعنى التبنّي أن يأتي شخص بغلام لا يمتّ إليه بصلة نَسبيَّة أو دموية ، ويجعل من هـٰذا الغلام ابناً شرعياً له بحيث إنه يرثه ويرث منه ، ويُحرّم على هـٰذا الابن المُتبنّى ما يُحرّم على الابن الحقيقي ، وبالتالي فإنه يُحرّم على الأب المُتبنّي ما يُحرّم على الأب الحقيقي ، ويُلحق هـٰذا المُتبنّى بالأسرة ، فيكون الأب الذي تبنّاه أباً ، وزوجة ذلك المُتبنّي زوجة ، وأولادهما أخوة له ، وكان يتمّ التبنّي في عدّة أحوال :

ـ منها : أن يكون الأب معروفاً ، ولكن الولد يتبرّأ من نسب أبيه ويلتحق بنسب شخص آخر .

ـ ومنها : أن يكون الأب الحقيقي ليس معروفاً ، ويجد هـٰذا الفتى من ينتسب إليه ويتبنّاه زوراً لا حقيقة ، ولكن تُطبّق جميع الأحكام السائدة أثناء الجاهلية على هـٰذا الولد ، فينظرون إلى بنوّته منظار البنوّة العصبية النَّسبيَّة الحقيقية .

والتبنّي في العصر الحديث لا يختلف كثيراً عما كان عليه في الجاهلية ، فربما أسرة عقيم لا تلد ورغب الزوج والزوجة بأن يتبنّيا طفلاً ليُفرّغا فيه عاطفة الأبوّة والأمومة ، ويملأ عليهما فراغ حياتهما ، فبالتالي يذهبان إلى إحدى دور الأيتام ويتبنّيان هـٰذا الولد ويُلحقانه بهما من الناحية القانونية ، وهـٰذا يجري في الدول الأجنبية التي لا تَدين بالديانة الإسلامية ، ويجري أيضاً في الدول الإسلامية التي لا تُطبّق الشريعة الإسلامية ، وهـٰذا من الأمور المؤسفة وهو التخلّق بأخلاق الجاهلية الأولى ، والتخلّق بأخلاق الجاهلية الأخرى ألا وهي جاهلية الملاحدة الأوربيين والأمريكيين ، ولكن العتب كلّ العتب يقع على

الدول الإسلامية؛ لأننا مسلمون مؤمنون بالقرآن الكريم وبنبوّة محمد ﷺ ومُلزمون بتطبيق أحكام الشريعة الإسلامية ، وإعراضنا عن تطبيق هـٰذه الأحكام أوقعنا في متاهات لا حدّ ولا حصر ولا نهاية لها ، ومن هـٰذه المتاهات الذل والخذلان والخسّة ، والفقر والضياع واغتصاب الأوطان وضياع الأعراض ، والظلم وتفشّي المفاسد والاستبداد ، وكلّ مصيبة تراها في أمتنا الإسلامية إنما يعود السبب الواضح فيها إلى هجران هـٰذه الأمة الإسلامية لشريعة ربّها ، ومن البديهي والمسلّم به قطعاً أنه لن تعود لهـٰذه الأمة عزّتها وكرامتها إلاّ بعودتها إلى شريعتها ودينها ، وصدق عمر بن الخطّاب رضي الله عنه حينما قال: (نحن قوم أعزّنا الله بالإسلام فمهما ابتغينا العزّة بغيره أذلّنا الله)[1].

وما الأمثلة الحالية التي نراها يومياً من ذل وهوان واستباحة للدم والعرض والوطن والشرف والكرامة إلاّ نتيجة سعي هـٰذه الأمة للبحث عن عزّها المفقود وتلمّسه من فُتات موائد الغرب.

وهـٰذا الكلام لا يعني أنَّ الشريعة الإسلامية حرّمت كفالة اليتيم ، ولكن شتّان أن تقول «تبنّي» وبين أن تقول «كفالة يتيم» ، فالتبنّي هو إلحاق هـٰذا الولد أو الفتاة بك عصباً ونسباً زوراً وبهتاناً ، مما يؤدّي إلى اختلاط الأنساب ومفاسد كثيرة سأقوم بذكر أبرزها إن شاء الله تعالى.

أما كفالة اليتيم فهي جلب هـٰذا اليتيم إلى داره أو كفايته في المكان الذي يُقيم فيه من مأكل ومشرب وملبس ، وتطبيب وعطف وحنان ورعاية وتوجيه وصدق وإخلاص ، فقد صحّ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أنا وكافل اليتيم في الجنة هكـذا» وأشار بالسبابة والوسطى وفرّج بينهما شيئاً[2].

وتتّضح لك العلاقة الحتمية بين إكرام الله عزّ وجلّ للإنسان وكفالة اليتيم من قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ

---

(١) التاريخ للطبري: ج٤ ـ ص: ٣٨٠ وما بعدها.

(٢) صحيح البخاري: ج٣ ـ برقم ٤٩٩٨.

طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾﴾ [الفجر: ١٥ ـ ٢٠].

ومن هـٰذه الآيات الشريفة يتبيّن لك الترابط بين الابتلاءات الإلٰهية ومنها الفقر ، وبين إعراض الناس عن إكرام اليتامى ، وبين إعراض الناس وعدم سؤالهم عن إطعام المساكين ، فتراه لا يُفكّر ماذا سيأكلون ، هل هم آمنون ، هل هناك جدران تأويهم من الشمس والبرد والرياح ، وتراهم يتهارجون ويتقاتلون ويكادون يذبح بعضهم بعضاً حرصاً على المال وعلى الحصاد المادي ، في ظل هـٰذا الواقع ترى أنّ اليتامى قد ظُلِموا في عصرنا الحاضر ، وكانوا أيضاً مظلومين في الجاهلية الأولى ، والآن هم أيضاً يعانون في الجاهلية الأوربية والأمريكية.

فجاءت الشريعة الإسلامية رحمة للناس كافة والضعفاء خاصة ، ويقع في أوّل سلّم الضعفاء اليتامى والمساكين ، وكيف لا يكون اليتيم مسكيناً وقد فَقَدَ من يهتمّ به ، ومن خلال الكثير من النصوص القرآنية والنبويّة يتّضح حضّ الشارع عز وجلّ على رعاية اليتامى والمساكين.

أما التبنّي فإنه يتّجه باتّجاه آخر ويهدف إلى أهداف أخرى في غالب الأحيان ، وسأقوم الآن بعرض بعض مخاطر التبنّي الجاهلي والأوروبي والذي وقع بشباكه الإمّعة[1] من أبناء أمتنا الإسلامية.

* * *

(١) الإمّعة: هم الأناس مسحوقو الشخصية المقلدون كالببغاوات قد أخذ النقص في كيانهم كل مأخذ فأخذوا يعبدون الآخرين.